الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

الرحمة الفريضة الغائبة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي خلق الكائنات وتفضل علينا بجوده والرحمات، هو الذي أرسل رسوله بالهدى والبينات، أنزل التوراة والإنجيل والزبور وأتمها بالآيات، علام الخفيات قاضي الحاجات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، مجيب الدعوات فالق الإصباح ومبدد الظلمات، والنظر إلى وجهه الكريم نهاية الغايات، يسمع دبيب النمل وخافي الهمسات، لا تختلط عليه اللغات، يسمع ضجيج الأصوات، اختلاف اللهجات وتعدد العبارات على تفنن الحاجات فلا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا بدعاء الداعين ولا توبة التائبين، أحمده سبحانه حمد الشاكرين الذاكرين، وأصلي على الصادق الأمين، المبعوث بخير دين، الهادي إلى صراط الله المستقيم، حبيب رب العالمين، إمام الأولين والآخرين وسيد المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، واستقام على شرعه إلى يوم الجمع والدين.

عباد الله الحياة مليئة بالأحداث والأشخاص، والمواقف والذكريات، والنقائص والآفات والمتناقضات، أفراح وأفراح، آلام وآمال، دار يعزون في مفقود، وبالقرب منهم دار تفرح بمولود، ومسيرة الحياة ماضية، وسفينتها تمخر عبابها، مع الأيام سائرة، ومن رحم المعاناة تتولد المعاني الإنسانية السامية، وتتفجر قيم الأخلاق الرفيعة من مودة ورحمة وتعايش، ولو أن الحياة خلت من المعاني الإنسانية السامية، وقيم الرحمة الراقية،

لاستحكمت الأنانية، ولساد حب الذات، ولكانت الآفات المهلكة، ولاستغلقت بأصحاب الضوائق الأبواب والسبل، ولكانت الحياة جافة يا بابا ولعاش الناس شريعة الغاب، القوي يأكل الضعيف، والضعيف والمظلوم والمسكين لا ناصر له.

وديننا الحنيف يعطي الحياة معنى وجمالا وإشراقا وألقا، في شرائع محكمة، وآداب راسخة، ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ لما يسود الخير في الناس وتتفجر قيم الرحمة في نفوس الناس، يكون مجتمعا آمنا إن الأخلاق في الإسلام وإن الآداب في القرآن تنطلق سجية بغير تكلف، وبالتالي يعيش المؤمنون تحت قول الله جل وعلا ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾.

كنت أقرأ بعض الآيات وتستوقفني طويلا، إن الإسلام لا يأمرك فقط بأن ترحم من تقدر على رحمته، بل ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ والتعبير القرآني بليغ لم يقل ولم تطعمون المسكين، لا هذه مرحلة لكن المرحلة الأعمق من ديننا أن تحض على طعام المسكين، أن تقول للناس ارحموا المسكين، ومن هنا قال تعالى ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ أن يوصي بعضنا بعضا في ديننا وشرعنا ويا لروعة أخلاقنا ويا لجمال إسلامنا أن نحض بعضنا بعضا على المسكين وهو طبقة وشريحة مستضعفة تحتاج إلى من يقف بجانبها وتزداد وتزداد حاجة المجتمع إلى الرحمة عندما يكون المجتمع تحل به الضوائق أو تنزل به الملمات أو تكون به المشاكل وما أحوجنا في مثل هذه الأيام مع الفقر الذي ضرب بجذوره.

والمسكنة الموجودة في ديارنا لا يكاد يخلو مسجد من مساجدنا، إلا وعقب الصلوات، رجل يشكو فاقة أو يبث شكوى أو يصف حاله أو يتكلم عما يعاني، لا تكاد تجد مكانا من الأماكن إلا وفيه متسول، سائل يمد يده الحاجة والعون يطلب من الناس ذلك، إن الأمر تفاقم، وقد وصل الفقر بالناس ما وصفه القرآن، ﴿يتيما ذا مقربة﴾ مسكين بلغت به المسكنة، حتى أنه ذل ووصل إلى التراب، والتراب علامة الذل، ومنتهى الفقر والمسكنة، ﴿مسكينا ذا متربة﴾ هل المسكين الذي وصل إلى المترب وكاد أن يصف التراب كما يعبر الناس في عاميتهم إن فلان صف التراب، يقصدون بذلك بلغ به من الذل منتهاه، هل يا ترى في مجتمعنا مسكينا ذا متربة؟

إننا كأمة مسلمة ينبغي أن نعيش المعاني الإنسانية الجميلة التي في ديننا وشرعنا، إن الدين في شرائعه الإسلام في شرائعه وأحكامه وآدابه وأخلاقه يدعو إلى تواصل اجتماعي حقيقي ليس مزيف، الإسلام يسعى إلى انتزاع الأنانيات من الصدور.

بالله أحدثكم عن شريحة، واسمحوا لي وهي مصدر قلق، بالنسبة لنا كأمة مسلمة الأطفال المشردون، بين قوسين الشماسة هكذا يسميهم الناس لأن الشمس يضربهم، ولأنهم في الشمس دائما، هؤلاء الأطفال أفكر في مصيرهم كثيرا، أحاول أن أجد مشروعا يناسب لم هؤلاء لظروف أسرية أو لظروف اجتماعية أو لظروف اقتصادية بين عشية وضحاها وجد الطفل نفسه بغير ذنب ولا جريرة وجد نفسه في الطريق يتسول القمامات ينام في مجاري المياه يرقد يفترش الأرض.

في البرد القارس أنت وأطفالك تحت البطاطين، وفي الغرف المغلقة، وحكمة الله، أننا بالرغم من ذلك، أمراض الصدر وأمراض البرد والنزلة، وهم يخرجون من المجرى كأن شيئا لم يكن، حكمة الله بالغة يعيش حياته هكذا لا ذنب له، فيهم من القدرات العقلية والمقدرات الذهنية، والطاقات البشرية ما نحتاجه كأمة مسلم كنت أفكر في يوم من الأيام أقول يمكن أن يكونوا جيشا من جيوش الإسلام، يمكن أن يكونوا سواعد قوية، في بناء المجتمع، يمكن أن يحفظوا القرآن، وإن المجتمع لا يمكن أن يطلب منهم خيرا أبدا، لأنه لم يقدم لهم خيرا أبدا، ماذا قدم لهم المجتمع؟ الأدب الأخلاق؟ الصحة، التعليم؟ ولذلك هؤلاء قنابل موقوتة، يمكن أن تنفجر ضد المجتمع في يوم من الأيام.

فهل للمجتمع أن يلم طفولتهم البريئة؟ هل المجتمع أن يأخذ بأيديهم إلى المراقي؟ فيهم والله أطفال أذكياء، لو تهيأت لهم الظروف التي تهيأت لطفلك، ربما من القادة والساسة وربما كانوا من العلماء المبرزين في أي مجال من مجالات الحياة، من لأطفال الشوارع؟ أخشى أن يستغلوا من قبل عصابات تخترق المجتمع عبرهم، وهم ممكن خامة، يمكن أن يخترق المجتمع من خلالهم والأسوأ من ذلك أنهم الآن يستغلون، إنك لا تكاد تقف عند إشارة من إشارة المرور، إلا وتجدهم بالعشرات، يحملون الأشياء الخفيفة لبيعها، إما مناديل تناسب السيارات، وإما أشياء ربما مدتها مدة صلاحيتها منتهية أو كانت أن تنتهي، عند من يعمل هؤلاء؟ ولصالح من يعمل هؤلاء؟ بعضهم يأتيك ليمسح لك زجاج السيارة نظيرا نقودا أو حفنة من الجنيهات لا تساوي ولا تسد رمقا، هؤلاء هم الذين يعملون أمام أعيننا، فيا ترى الذين لا يعملون أمام أعيننا؟ كم هم؟ ألا يحتاج مجتمعنا إلى الرحمة؟

في ظل هذه الأيام بالذات إن الذي أعجب له ولا أكاد أجد له تفسيرا صحيحا، أن الأمة في الآونة حصل فيها نوع من أنواع الأوبة والصحوة والرجوع إلى الله عز وجل، هنالك تدفق روحي كبير، انظروا إلى هذه الجموع، والمسجد الآن فيه زيادات، ويصلي الناس في الشمس، نسأل الله أن يتقبل من هؤلاء جميعا، هؤلاء حجوا، الآن تجد شباب يحجون ولا يفوتون فرصة من فرص العمرة ولا سيما في رمضان إلا واعتمروا، التراويح ما أكثر

المصلين للتراويح؟ في رمضان والنساء والكبار والصغار، ما أكثر المتهجدين في المساجد؟ هذا تدفق الروح الكبير يقابله انحسار أخلاقي واجتماعي مريع، وتفشت قطيعة الرحم، وانتشر الحقد والحسد بين الناس وكثر الكذب والاحتيال، وكثر المتسولون وضعفت الأمة في أخلاقها.

إنني أتساءل أقول هذه المساجد الممتلئة بالمصلين والشوارع ممتلئة بالمتبرجات، هل يا ترى هؤلاء البنات هم بنات المصلين هذا لا أعقله ولا أتصوره أتمنى أن يكون البنات المتبرجات في الشوارع لا صلة لهم بالرجال الذين يملؤون المساجد وإلا لكان هذا هو منتهى وقمة التناقض، إن هذا تدفق الروح الكبير ينبغي أن يقابل بامتداد اجتماعي وسلوكي عظيم، إن الصلاة ليست مجرد شعائر تؤدى.

تتخيل أننا في هذا المجتمع مع هذه المشكلات التي طرحتها لكم، الأطفال الذين هم بغير أب أو الذين لهم آباء لكنهم آثروا الشارع بسبب من أسباب من سبب من الأسباب، قطعا هم لم يكونوا في يوم من الأيام سببا إما لحروب جاءت بهم وألقت بهم وقذفت بهم في العاصمة، وإما لمشاكل بين الوالد والوالدة فآثر أن يكون في الشارع، طفل يانع كان يمكن أن يتعلم وكان يمكن أن يكون له دور رائد في المجتمع، إن هؤلاء أقل ما يمكن أن يقال فيهم الإحسان إليهم فيه أجر وباب من أبواب الجنة، حتما على أن في جمعهم وفي لمهم والإحسان إليهم والعطف عليهم سلامة أمنية واجتماعية احفظوا مجتمعنا من العبث ومن الفوضى.

هل تتخيل أن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون هذه الحياة؟ ويسميهم الناس الشماسة، ليست لهم آدمية وليست لهم مشاعر، وقفت ذات مرة، قلت أدرب أتحدث مع هذه الشريحة فاستوقفت بعضهم وجعلت أتكلم معهم وكانوا وقد استرابوا من شكلي ماذا يريد هذا الشيخ منا؟ ماذا يريد هذا الملتحي؟ منا ولكني طمأنتهم وجلست معهم على الأرض لا كرسي، ولا أساسات فخمة في الوطن، قاعد أتكلم معاهم، أقول له أنت ليه عملت كده؟ ليه؟ ليه ما قريت؟ ليه ما سويت؟ فوجدت أن عندهم من الذكاء والتفكير ما يمكن أن أقول حرام بهذه المواهب أن تدفن، وحرام لهذه الطاقات أن تؤد وأن لا تخرج لننتفع منها كأمة مسلمة، هل من مشروع متكامل؟ بغير إعلام، بغير إعلام حقيقي.

إنها رحمة الناس رحمة العامة، الرحمة الحقيقية، هذا جزء من ديننا وجزء من إسلامنا وثقافتنا، وبالتالي هل في مجتمعنا رحمة؟ ولتتضح الصورة وتكتمل في أذهانكم، أقول هذا تدفق الروح الكبير، دعوني أحلم، دعوني أحلم، لأنني أملك هذا، ولا يقدر أحد أن يمنعني، أحلم في أن يأتي موسم مواسم الحج أن يجتمع التجار الذين

يحجون كل عام وقد حجوا مرات ومرات ويتبرع هؤلاء بثمن حجهم لأسر فقيرة لتصنع مشروعا يتعلم طالبها في الجامعة فلا يطرد لرسوم دراسية، وليتعالج مريضهم في المستشفى فلا يعدم ثمن الشاش، ولا ثمن الدرب، أبسط مقومات الحياة.

بهذا تخرج الأسر من الفقر، حتى الغني سوف يرتاح، سوف يرتاح، لأنه لن يكون مرتاح نفسيا، والناس من حوله على احتياج، هل يكون مرتاح؟ كل مرة واحد يمد إيده، كل مرة تلقى الناس قاعدين جنب الباب، والمرأة الشايلة روشتة والمرأة الدايرة حق العملية، انظر إلى زيجات بعض المترفين، وما ينفق فيها من الأموال الطائلة والترف، الحفلة في الفندق الكبير.

يا إخواننا هل تعلمون أن كثيرا من الطلاب يعجزون عن دفع الرسوم الدراسية؟ بالتالي انظر إلى هذه المتناقضات في المجتمع، البذخ في المناسبات والأعراس، وفي السودان ما ينفق على المهرجانات، والاحتفالات الحكومية، وعلى كثير من الأشياء يا ليته وضع في جوف مسكين أو محتاج.

الأمر جلل، الأمر جلل، والذي أؤكده أن ديننا هو دين الرحمة، ولقد اخترت لهذه الخطبة عنوانا الرحمة الفريضة الغائبة، نعم والله، الرحمة هي الفريضة الغائبة، التي نحتاجها جميعا، ونحتاج عندما يستدير من الدهر، وتعد عواد الأيام وصروف الزمان فيستدير عزنا ذلا وهذا ممكن وغنانا فقرا وهذا أيضا ممكن عندها سوف نفقد الرحمة الحقيقية لأنا لما كنا نملك ما كنا نرحم، وإن الرحمة في الإسلام رحمة عادلة، إنها رحمة عادلة فيها قوانين صارمة، قطع يد السارق رحمة، وقتل القاتل رحمة، ورجم الزاني المحصن رحمة، وإقامة الشرع في الأرض رحمة، الرحمة في الإسلام ليست مجرد عواطف، الرحمة في الإسلام أصيلة، هي رحمة بمقاييس العدل، رحمة لأنها من عند رب العالمين، ورسول الإسلام هو رسول الرحمة، هو رسول الرحمة، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

هذه الرحمة المرجوة، إذا رأيت منظرا مأساويا أن يتفطر قلبك حقيقة وهذا بداية الرحمة، ثم أن يتفجر هذا عطفا وإحسانا عليه، أن نمسح على يد المحتاج، ارحموا البائس والفقير، وأعينوا المسكين والمحتاج، وقفوا بجانب عزيز قوم ذل واعلموا أن الأيام دول وأن الدهر تصريف، وأن الملك بيد الله وأن الأمر بيد الله، أسأل الله جل وعلا أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، نأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ولظني واعتقادي أن الخطبة تمس قضية مجتمعية وقضية اجتماعية، لا تحتاج إلى كثير توصيف، فأنت ترى هؤلاء الأطفال في كل مكان، وترى المسكين والمحتاج في حيك، وترى الناس وعليهم المعاناة ظاهرة، وطالما أن الخطبة تمس حياتنا اليومية مباشرة، في نهايتها إلى بعض التوصيات التي أرى أنها عملية، والتوصية الأولى التي أوصي بها أقول للمجتمع كله دور، في رعاية هؤلاء الأطفال الذين تشردوا بغير ذنب منهم والذين يحتاجون إلى عطفنا أهم شيء إذا لقيت أحدا منهم في فجاج الأرض وسكك الحياة فعامله بالإحسان واعتبر آدميته وإنسانيته أولا، ومن هنا يبدأ التصحيح الصغير قل له يا ولدي حتى لو جاء يشحت، حتى لو عمل لك القزاز بتاع العربية، لو أن كل واحد منا عاملهم المعاملة الكريمة لبدأنا في طريق الرحمة الصحيح، بدأنا في طريق بناء المجتمع البناء الحقيقي.

ثانيا هؤلاء المشردون على قسمين، قسم أطفال صغار، هؤلاء يمكن أن يدخلوا بيوتنا وأن يتربوا في أحضاننا، أقول هذا بكل جرأة بغير مخاطر ولا مخاوف، ممكن تجيب زول حديث تقعده معاك مع أولادك، عندك أربعة اعتبرهم خمسة، بيعيش معهم عادي، في ناس في مراحل متطورة، بلوغه وماشي لفوق، هؤلاء من الصعب إدخالهم البيوت، لأن في إدخالهم البيت مخاطر على أهل البيت نفسه، فهؤلاء يصنع لهم ملجأ أو مشروع كبير، دعوني أحلم، بتمنى كدا في عمارات سكنهم بجاي، في محل بتاع نجارة بيه جاي، في محل بتاع تدريب مهني، وفي جامع وفي الأمسيات خلوة، وعروض فيديو راقية جدا، تصنع فيهم آدمية وإنسانية، وتشعرهم بأنهم ينتمون إلى الدين، ممكن أجوا في يوم من الأيام يقاتلوا معانا، بدلا من أن يكونوا علينا ليكونوا لنا ليكونوا عونا لنا ليكونوا جزءا من ساعدنا وعضدنا ليكونوا من قوتنا وهذا المشروع يمكن أن يقوم به رجال الأعمال والدولة.

لا تستطيع أن تتبسم تبسما في وجهه لا تستطيع لا تعطيه شيء أعطه كلمة طيبة أعطه عبارة حامية أعطه إحساسا بالحياة فقط لا يستطيع أحد أن يقول إنه لا يقدر على هذا، ومن كان يقدر مشروع إيوائهم إيواء متكاملا والدولة عليها أن تلعب دورا كبيرا هذا، في كل حي أعرف المحتاجين، وأعرف الأغنياء، خذ منهم، وأعط هؤلاء، بهذا الدور أئمة المساجد، في كل حي إمام الجامع ونفرين بيكونوا عارفين ناس الحلة كلهم، أليس من ديننا؟ يسعوا إلى التراحم، أليس من شرعنا؟ يسعوا إلى المواساة، أليست من أخلاقنا؟ بكل بساطة.

ثالثا أن هذه المعاناة الضاربة بجذورها في مجتمعنا وتحتاج إلى التراحم أول من ينبغي أن يبدأ بالتراحم والرحمة الحكومة والنظام وما أسهل أن ترحم الحكومة، لتخفيف المعاناة، وتقليص الأسعار، وتسهيل الأمور، وترك الجباية، هذه رحمة دولة، ليرحمها الله، أنا أريد مرة واحدة، أتمنى قرار وعي يكون لصالح المواطن، قرار واحد يقول للناس نقصنا حاجة، خفضنا حاجة، قرار واحد يكون لصالح الناس، أليس هذا من الرحمة؟

الدولة تمتلك الرحمة، الرحمة تبدأ من القدوة والدولة، ولذلك أقول لكم بملء في ولا أخاف في الله لومة لائم، لما هانت الأمة الإسلامية أفرادا هانت أمة لما هانت لما هان المسلمون أفرادا كانوا أمما، لماذا يقتلون في بلاد المسلمين؟ ولماذا يجتاح العدو ديارهم؟ لأنهم ما تراحموا بينهم، لما هان المسلمون أفراد هان المسلمون أمما وحكومات، هانوا لأنهم تقطعت بينهم أواصر الأخوة، وتمزقت بينهم حبائل المودة.

أسأل الله جل وعلا العلي القدير الجليل الغفور ذو العرش المجيد الفعال لما يريد أن يرحمنا رحمة يغنينا بها عن رحمة من سواه، اللهم يا فارج الهم ويا كاشف الغم ويا مجيب دعوة المضطرين، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك يا رب العالمين، اللهم اجعل الخير في بلادنا وانشر الأمن والسلامة والسلامة في ربوع ديارنا وديار المسلمين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في كل مكان، الذين يجاهدون لأجل إعلاء كلمتك ولنصرة دينك يا رب العالمين، اللهم إن أهل الأرض خذلوهم فلا تخذلهم ربنا، اللهم إن أهل الأرض خذلوهم فلا تخذلهم ربنا يا رب العالمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واحمِ بسلطانك وقوتك وقهرك وربوبيتك وعظمتك هذا الدين، يا رب العالمين، صلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/الرحمة-الفريضة-الغائبة/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com